صفات الله تعالى
وموقف السلف منها

د علي بن سعيد العبيدي

جامعة الملك خالد

أبها

جوال/٠٥٠٣٢٢٣٩٦٣

بريد

aliabeedi@gmial.com

ملخص البحث

عنوان البحث:

صفات الله تعالى وموقف السلف منها.

اسم الباحث:

د علي بن سعيد العبيدي.

عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد بأبها.

مكونات البحث:

يتكون البحث الماثل من مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

في المقدمة أوضح الباحث أهداف البحث وأهميته وخطته.

وفي المبحث الأول تناول الباحث التعريف بمفردات العنوان، وخلص منها إلى نتيجة مهمة، وهي: أن السلفية تمثل الدين الوسطي الصحيح الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين، فهي ليست مرحلة زمنية ولكنها منهج فكري ممتد منذ صدر الإسلام وحتى اليوم والغد.

وفي المبحث الثاني عرض الباحث مذاهب الطوائف في صفات الرب تعالى في ثلاثة مطالب، مبيناً وسطية السلف في باب الصفات، ومقرراً أنها وسطية قائمة على الدليل والبرهان.

وفي المبحث الثالث بين الباحث موقف السلف من الصفات الإلهية في أربعة مطالب، ذكر فيها نماذج مختارة لأبرز القواعد والضوابط التي بنى عليها السلف معتقدهم في الصفات، مؤكداً أن طريقتهم ومنهجهم فيها هو المنهج العلمي الصحيح الخالي من التشويش والاضطراب الموجود عند المخالفين، مطعماً هذه القواعد والتقريرات بأقوال السلف المتقدمين والمتأخرين الذين اتفقوا على إثبات الصفات من غير تعطيل أو تشبيه.

وفي المبحث الرابع عرض الباحث - بإيجاز شديد - جهود السلف من الأمراء والعلماء الذين كانت لهم بصمة واضحة في خدمة المذهب السلفي ونشره بين الناس، عن طريق التعليم، أو التأليف، أو تحمل الأذى في سبيله.

وفي **المبحث الخامس** بين الباحث كيف أن المنهج السلفي الواضح النقي كان له أثر في تراجع أبرز علماء الكلام عن مذاهبهم الكلامية، وعودهم إلى طريقة السلف الوسطية التي تتفق مع الكتاب والسنة والفطرة والعقل واللغة، وذلك بذكر مقتطفات من أقوالهم التي حفظها لنا التاريخ.

وفي **الخاتمة** استخلص الباحث جملة من النتائج والتوصيات، من أهمها:

ضرورة العناية بكتب السلف ومصنفاتهم في باب الاعتقاد، وذلك بتكوين لجنة مؤهلة ذات كوادر علمية عالية، تكون مهمتها حصر هذه الكتب والمصنفات التي دونت في الماضي والحاضر، ومن ثم التعريف بأصحابها، وتقديم ملخصات لما احتوته من عقائد وأراء، وأيضا القيام بطباعة أصولها في مجموعة متكاملة فاخرة، وتقديمها للناس ورقياً وإلكترونياً؛ ليسهل الانتفاع بها في مشارق الأرض ومغاربها؛ وما ذك إلا لأن السلفية تمثل اليوم الإسلام الصحيح الذي جاء به النبي الخاتم؛ ولأنها المنهج الوسطي الوحيد الذي يمكنه إسعاد البشرية على اختلاف أطيافها.

In the name of Allah

abstract of the research

Title of the research:
Attributes of Allah Ta'ala and the position of Al-sallaf from it.

Researcher Name:
Dr. Ali bin Saeed Al-Abeedi
Faculty member in department of religion and contemporary doctrines - Faculty of Shariah and Fundamentals of Religion - King Khalid University, Abha.

Components of the research:
This research is consist of introduction ,five chapters and a conclusion, as follows:
In the introduction, researcher explained the research objectives and its importance and plan.

In the first chapter , the researcher explained vocabularies of the title then he concluded a very important result, which is that Al-Sallafeah is the true religion which was chosen by Allah to mankind, it is not a phase of time but intellectual Method extended since the beginning of Islam until today and tomorrow.

In the second chapter , the researcher displayed doctrines of sects in the Attributes of the God in the three sections, showing the moderation(Wasatteah) of Al-Sallafeah in the Attributes of Allah, deciding that this Wasatteah based on evidence and proof.

In the third chapter, the researcher demonstrated the position of Al-Sallafeah of the divine attributes in four sections, talked about selected examples to highlight the rules and disciplines on which Al-Sallaf Built their believes about the Attributes, stressing that their approach is the scientific and right method which is free of confusion and disorder located at another sects ,then he advances this rules by some of Sayings of earlier and later Sallaf who have agreed to demonstrate the attributes of Allah without altering their meaning in any way .

In the fourth chapter the researcher displayed - very briefly - the efforts of Sallaf who have had a clear

imprint in the service of the Sallafi doctrine and spread it among the people, through education, authorship, or incur harm .

In the fifth chapter the researcher demonstrated how the clear and pure method of Sallafeah has had an impact on retreat the most important scholars of Al-Kallam from their doctrines, and return to Al-Sallafeah way which agree with the Qur'aan , Sunnah ,nature , mind and language, by mention some of these scholars sayings.

At the conclusion ,the researcher concluded many results and recommendations, including: needing to take care of Al-Sallaf books and their works in the Belief, by form a qualified committee with scientific staff, and their task is collect these books and works that recorded in the past and present, then name the owners of these books, and provide summaries of beliefs and ideas that find in these books, also to print their assets in a complete package, then submit to the people electronically and by paper; for easy use in all over the world. All this because the Sallafeah represent today the true Islam of the Prophet, and it is the only method of Wasatteah that can give happiness to mankind.

المقدمة

حمدا لله، وصلاة وسلاماً على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فلقد كثرت الفتن والدعاوى الباطلة للنيل من السلفية التي يمثلها كثير من المسلمين اليوم في شتى أصقاع الدنيا، والتي يمثلها كدولة كبيرة لها ثقلها ووزنها في عصرنا الحاضر المملكة العربية السعودية، فهي رمز واضح وكبير للسلفية، ويعد مذهبها الديني امتدادا لمذهب السلف المتقدمين -من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان-، وحلقة قوية من حلقاته التي لا تنفصل عنه ولا تنفك، وهي تؤكد أن السلفية ليست مرحلة زمنية مضت وانتهت؛ ولكنها منهج فكري ثابت قائم على نصوص الكتاب، وصحيح السنة، وفقه السلف الصالح، المتفق مع العقل الصحيح، والفطرة السليمة، ولغة العرب الأصيلة، وستبقى قائمة إلى قيام الساعة، فأهلها الملتزمون بها هم الطائفة المنصورة التي بشرت بها النصوص.

وهي المذهب الوسطي الكفيل بإسعاد المسلمين -والبشرية- إذا ما أخذوا به وتبنوه في جميع مناحي حياتهم.

أهداف البحث: لعل أكبر أهداف البحث بيان موقف السلف في قضية من أهم قضايا التوحيد، وهي: توحيد الصفات، والتي كان الخلاف فيها أحد أسباب الافتراق في الأمة منذ زمن، مبرزا لأقوال علماء السلف فيها، وكيف أنهم بنو عقائدهم فيها على أصول ثابتة، وقواعد محكمة تورث اليقين، مع إظهار وسطيتهم في الاعتقاد بين طوائف الأمة، وإبراز جهود علمائهم في نصرة مذهب السلف، وبيان كيف أن المذهب السلفي والمواقف السلفية كان لها أثر كبير في تخلي طائفة من أساطين الكلام عن مذاهبهم الكلامية التي أورثتهم القلق والحيرة والشك، وعودتهم إلى حظيرة السلف حيث السكينة والطمأنينة واليقين.

أهمية البحث: وترجع أهمية الموضوع إلى أنه يقرر أن مذهب السلف في صفات الرب تعالى هو المذهب الصحيح القائم على الأدلة والبراهين والقواعد الثابتة المقنعة، التي تجعل المنصف المتأمل لها يدرك أنه المذهب الحق الذي يجب سلوكه والأخذ به، والعدول عن غيره إليه، وأنه المذهب الذي تنطبق عليه صفات الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة.

وقد جعلت بحثي هذا في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

المقدمة، وفيها أهداف البحث، وأهميته، وخطته.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات العنوان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المراد بالصفات.

المطلب الثاني: المراد بالسلف.

المبحث الثاني: وسطية السلف بين الفرق في الصفات، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف المعطلة.

المطلب الثاني: موقف المشبهة.

المطلب الثالث: موقف السلف.

المبحث الثالث: أبرز تقريرات السلف وأقوالهم في الصفات، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تقريرهم أن صفات الله تعالى توقيفية.

المطلب الثاني: تقريرهم أن الرب تعالى متصف بصفات الكمال الذي لا نقص فيه منذ الأزل.

المطلب الثالث: تقريرهم إجراء نصوص الصفات على ظاهرها، مع اعتقادهم أنها معلومة المعنى مجهولة الكيف.

المطلب الرابع: تقريرهم التفريق بين إضافة الملك وإضافة الصفة.

المبحث الرابع: مظاهر اهتمام السلف في تقرير توحيد الصفات.

المبحث الخامس: تأثير الموقف السلفي على المتكلمين.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
التعريف بمصطلحات العنوان

المطلب الأول: المراد بالصفات.

الصفة لغة: النعت.

وعلى هذا المعنى تدور عبارات كثير من أهل اللغة والتفسير وغيرهم.

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) حكاية لقول الخليل: "النعتُ: وصفك الشيء بما فيه من حسن"[١].

وبنحو قوله قال ابن منظور (ت٧١١هـ):"النعتُ: وصفك الشيء ، تنعته بما فيه وتبالغ في وصفه"[٢].

وقال ابن الأثير (ت٦٠٦هـ): "النعت: وصف الشيء بما فيه من حسن، ولا يقال في القبيح، إلا أن يتكلف، فيقال: نعت سوء. والوصف، يقال في الحسن وفي القبيح"[٣].

والذي خلص إليه العسكري (ت٣٩٥هـ) في كتابه الفروق: "أن النعت هو ما يظهر من الصفات ويشتهر؛ ولهذا قالوا: هذا نعت الخليفة ...؛لان النعت يفيد من المعاني مالا تفيده الصفة، ثم قد تتداخل الصفة والنعت فيقع كل واحد منهما موضع الآخر لتقارب معناهما، ويجوز أن يقال الصفة لغة والنعت لغة أخرى ولا فرق بينهما في المعنى"[٤] ثم استطرد.

فتبين أن الصفة ترادف النعت، وقد جرى استعمال هذا اللفظ في كلام بعض علماء السلف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٧هـ): "ومن أعظم الأصول معرفة الإنسان بما نعت الله تعالى به نفسه من الصفات الفعلية"[٥].

وقال الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ): "إيماننا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته المقدسة، إذ الصفات تابعة للموصوف"[٦].

وللسلف عبارات كثيرة متناثرة تفيد أنهم يذهبون إلى الترادف بين الصفة والنعت خلافا لمن فرق بينهما، وقد جمع بعض كلامهم المتفرق علوي سقاف معقبا عليها بقوله:" الأولى أن نقول: (صفة الله) أو (صفات الله) بدل (نعت الله) أو (نعوت الله)؛ لورود الحديث الصحيح بذلك"[٧].

٣٢٣

وهو كما قال، ولعله يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: "أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص: ١] فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»[٨].

الصفات الإلهية اصطلاحا:

هي ما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - نفياً وإثباتاً، والواجب على المكلف الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وقد قرر هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٧هـ) وغيره من علماء السلف، فإنه قال - رحمه الله - لما تكلم عن توحيد الصفات: "الأصل في هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته"[٩].

المطلب الثاني: المراد بالسلف.

السلف لغة:

جمع سالف، على وزن خادم وخدم، وحارس وحرس[١٠]، وهو من مضى[١١]، وكل من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك في السن أو الفضل[١٢] يقال له: سلف.

وقد أكد هذا المعنى ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) بقوله: "سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوى قرابته ولهذا سُمّي الصّدر الأوّل من التّابعين السلف الصالح "[١٣].

السلف اصطلاحا:

للسلف إطلاق زماني، وآخر منهجي.

فالسلف من الناحية الزمنية: هم أصحاب القرون المفضلة، من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ممن أثبت لهم النبي صلوات الله وسلامه عليه الخيرية بقوله: **«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم، الذين يلونهم»**[١٤].

وهو قول المحققين من أهل العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٧هـ) في بعض مناظراته في الصفات: "مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف: أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت"[١٥].

وهو قول كثير من أهل العلم[١٦]، خلافا لمن حصرهم في الصحابة دون غيرهم[١٧]، ولمن حصرهم في التابعين دون تابعيهم[١٨].

والسلف من حيث المنهج والطريقة: هم الصحابة الكرام، ومن سلك طريقهم واقتدى بهم من التابعين وتابعي التابعين وحتى وقتنا الحاضر فما بعده.

وقد أجاد السفاريني (ت١١٨٨هـ) ـــ رحمه الله – إذ قال في تعريفهم: "المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم – وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ، ونحو هؤلاء"[١٩].

وممن أشار إلى ذلك ابن بطة (ت٣٧٨هـ) في الإبانة[٢٠]، واللالكائي (ت٤١٨هـ) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة[٢١]، والبيهقي (ت٤٥٨هـ) في الأسماء والصفات[٢٢]وغيرهم كثير.

نتيجة:

ومن خلال التعريفات السابقة نستنتج أن السلف يمثلون الدين الصحيح الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين، وأنها ليست مرحلة زمنية كما قد يتصور، ولكنها منهج فكري ممتد منذ صدر الإسلام وحتى اليوم والغد.

المبحث الثاني
وسطية السلف بين الفرق في الصفات

ما يميز السلف في باب الاعتقاد - وغيره - التوسط والاعتدال في عقائدهم التي يدينون بها ربهم تعالى، وهو توسط مبني على الدليل الصحيح، والفهم السليم لنصوص الوحي من غير تكلف، أو تحميل للنصوص ما لا تحتمل.

يقول الإمام الطحاوي (ت٣٢١هـ) في تعريفه بالدين الصحيح ووسطيته: "ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى : ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس"(٢٣).

ويقول الإمام ابن القيم (ت٧٥١هـ) رحمه الله: "لا تجد أهل الحق دائماً إلا وسطاً بين طرفي الباطل، وأهل السنة وسط في النحل كما أن المسلمين وسط في الملل"(٢٤).

وأهل السنة هم السلف وهم أهل الحق في باب الصفات وغيره، فهم لما أثبتوا للرب تعالى الصفات توسطوا في إثباتها بين أهل التعطيل وأهل التشبيه الذين فارقوهم في هذا الباب.

المطلب الأول: موقف المعطلة من الصفات.

أهل التعطيل، بالغوا في التتريه حتى نفوا الصفات أو بعضها، وهم ثلاث طوائف كلامية:

الأولى: نفاة الأسماء والصفات.

ويمثل هؤلاء الجهمية، أصحاب الجهم بن صفوان الذي ضحى به سالم بن أحوز بمرو(٢٥).

الثانية: نفاة الصفات دون الأسماء.

ويمثل هؤلاء المعتزلة، أصحاب وأصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري؛ لأجل الخلاف في مرتكب الكبيرة.

وقد ذكر الشهرستاني (ت٥٤٨هـ) معتقدهم هذا بقوله: "الذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد: القول بأن الله تعالى قديم والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلا، فقالوا : هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة، هي صفات قديمة ومعان قائمة به لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية..." [٢٦].

الثالثة: نفاة بعض الصفات.

وعلى رأس هؤلاء الأشاعرة الذين ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري.

وقد أثبتوا الأسماء وسبع صفات يسمونها صفات المعاني وأولوا الباقي، وهي: الحياة، العلم، القدرة، الإرادة، الكلام، السمع، البصر[٢٧].

وشبهة الجميع فيما نفوه من الصفات أن إثباتها يقتضي التشبيه والتجسيم؛ لأنه لا يشاهد موصوف بها إلا هذه الأجسام، والله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١]؛ فتعين نفي الصفات وتعطيلها تنزيها لله عن التشبيه بزعمهم، ولهذا يسمون من أثبتها مشبها[٢٨].

المطلب الثاني: موقف المشبهة من الصفات.

وأما أهل التشبيه فأثبتوا لله تعالى صفات تشابه صفات المخلوقين، فقالوا: له علم كعلمنا، وقوة كقوتنا، ويد كيدنا تعالى الله عن ذلك.

ويمثل هذا الاتجاه قدماء الرافضة[٢٩]، الذين من أبرز أئمتهم هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي وداود الجواربي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٧هـ): "فهذه المقالات التي نقلت في التشبيه والتجسيم لم نر الناس نقلوها عن طائفة من المسلمين أعظم مما نقلوها عن قدماء الرافضة، ثم الرافضة حرموا الصواب في هذا الباب كما حرموه في غيره، فقدماؤهم يقولون بالتجسيم الذي هو قول غلاة المجسمة، ومتأخروهم يقولون بتعطيل الصفات موافقة لغلاة المعطلة من المعتزلة ونحوهم، فأقوال أئمتهم دائرة بين التعطيل والتمثيل لم تعرف لهم مقالة متوسطة بين هذا وهذا "[٣٠].

وقد نقض علماء السلف في القديم والحديث تلكم المذاهب – سيأتي بيان جهودهم في مبحث مستقل– ، وبينوا فسادها بما لا يمكن الاستطراد بذكره الآن؛ لأنه غير مقصود في هذا البحث، وعلى سبيل الإيجاز والإجمال يمكن الرد على الفريقين بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] فصدر الآية رد على المشبهة، وعجزها رد على المعطلة.

المطلب الثالث: موقف السلف من الصفات.

وأما السلف فتوسطوا بين فريقي التشبيه والتعطيل، فأثبتوا لله تعالى ما يليق به من الصفات التي جاء بها الوحي مع نفي مماثلته للمخلوقات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٧هـ) مبينا لهذه الوسطية: "وأهل السنة والجماعة في الإسلام كأهل الإسلام في أهل الملل، فهم وسط في باب صفات الله عز و جل بين أهل الجحد والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل، يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله من غير تعطيل ولا تمثيل، إثباتاً لصفات الكمال وتنزيهاً له عن أن يكون له فيها أندادا وأمثال، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١]رد على الممثلة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] رد على المعطلة"[٣١].

وقال أيضا:" ومذهب السلف بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين: إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١]رد على أهل التشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]رد على أهل النفي والتعطيل، فالممثل أعشى، والمعطل أعمى، الممثل يعبد صنما، والمعطل يعبد عدمًا"[٣٢].

فهذه قاعدتهم وهذا دينهم وهذا مذهبهم في صفات الله تعالى توسط واعتدال.

وقال السفاريني (ت١١١٨هـ): "سلف الأمة وأجلاء الأئمة ، يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تشبيه، تعالى الله عن ذلك، فإنه تعالى قال في محكم كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:

١١]، فرد على المشبهة بنفي المثلية، ورد على المعطلة بقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾"(٣٣).

وأختم بكلام جامع نفيس لشيخ الإسلام الإمام شمس الدين ابن القيم (ت٧٥١هـ) يلخص فيه المسألة ويبين طريقة السلف ومذهبهم في الصفات، إذ يقول في معرض كلامه عن أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى: "...وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوا كبيرا، فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظا ولا معنى؛ بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئا من التشبيه، وتنزيههم خليا من التعطيل، لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما، أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدما.

وأهل السنة وسط في النحل كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[النور: ٣٥] فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله إنه قريب مجيب"(٣٤).

فتبين لنا أن مذهب السلف في الصفات هو المذهب الوسطي الذي يتفق مع ظواهر النصوص، ويؤيده العقل السليم، وينسجم مع الفطرة المستقيمة.

المبحث الثالث
أبرز تقريرات السلف وأقوالهم في الصفات

نتعرف في هذا المبحث على أبرز القواعد والضوابط التي قام عليها مذهب السلف في الصفات، وهي قواعد وضوابط تتفق مع مدلولات نصوص الوحي، ويؤيدها العقل

الصحيح والفطرة السليمة، وهي في النهاية تبين موقفهم من الصفات، وتشهد بصحة طريقتهم وسلامة منهجهم فيها، وأن مذهبهم في الصفات هو المذهب الحق الذي لا ريب فيه.

وقد ألف العلماء في ذلك مؤلفات -كما سيأتي- عامة وخاصة، والآن إلى نماذج من هذه القواعد والضوابط والتقريرات التي أثبت بها السلف الصفات للرب تعالى مع مراعاتهم البعد عن وثني التشبيه والتعطيل، وقد جعلتها في عدة مطالب.

المطلب الأول: تقريرهم أن صفات الله تعالى توقيفية.

ومعنى ذلك أنه يتوقف في إثباتها على نصوص الوحي من قرآن كريم وسنة مطهرة صحيحة؛ لقصور العقل عن إدراك ما يليق بالرب تعالى، وقد نهينا أن نتكلم بلا علم كما قال الحق تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقد تضافرت أقوال علماء السلف في القديم والحديث على تقرير هذه القاعدة، فكتبوها في مصنفاتهم، ودرّسوها طلابهم، وتناقلوها فيما بينهم، وإليك طائفة من أقوالهم:

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) "...وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه، قال: فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك، ولا يبلغ صفته الواصفون"[٣٥].

وقال أيضا فيما نقله عنه الخلال (ت٣١١هـ):" ونعلم أن ما جاء به رسول الله ﷺ حق إذا كانت أسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه"[٣٦]، وقد ذكر هذا النص غير واحد من العلماء.

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ) في رده على بشر المريسي: "ونصفه بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله"[٣٧].

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ): "لست أحتج في شيء من صفات خالقي عز وجل إلا بما هو مسطور في الكتاب، أو منقول عن النبي ﷺ بالأسانيد الصحيحة الثابتة"[٣٨].

وقال الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن مندة (ت٣٩٥هـ): "أسماء الله وصفاته توقيفية، وأهل السنة والجماعة لا يثبتون لله إلا ما أثبته لنفسه في كتابه أو صح عن رسول الله"[٣٩].

وقال أبو الحسن القابسي (ت٤٠٣هـ)كما في الفتح: "أسماء الله وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف من الكتاب والسنة أو الإجماع، ولا يدخل فيها بالقياس"[٤٠].

وقال أبو نصر السجزي (ت٤٤٤هـ): "اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفية، ولا يجوز أن يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله"[٤١].

وقال الإمام أبو القاسم الأصبهاني (ت٥٣٥هـ): "لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله أو أجمع عليه المسلمون، فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال"[٤٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني (ت٧٢٧هـ) في الحموية لما تكلم عن الصفات مقررا ومبينا لطريقة السلف ما نصه: "القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن والحديث"[٤٣].

ثم ساق كلام أحمد المتقدم وهو عمدة في الباب.

وقال أيضا: "وجماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل والتكييف والتعطيل"[٤٤].

وقال العلامة ابن القيم(ت٧٥١هـ) فيما ينبغي العلم به في باب الصفات: "السابع: أن ما يطلق عليه من باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفا"[٤٥].

وقال الشيخ الإمام حمد بن ناصر آل معمر(ت١٢٢٥هـ) في حكايته لمذهب إمام الدعوة السلفية المعاصرة في الصفات: "ومذهب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ) رحمه الله تعالى: هو ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة المذكورون، فإنه يصف

الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث، ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين الذين هم أعلم هذه الأمة بهذا الشأن نفيا وإثباتا، وهم أشد تعظيما لله وتتريها له عما لا يليق بجلاله "[٤٦].

ومن العلماء المعاصرين الإمام العلامة ابن باز (ت١٤٢٠هـ) فإنه قال: "أهل السنة لا ينفون عن الله إلا ما نفاه عن نفسه أو نفاه رسوله ﷺ، ولا يثبتون له إلا ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ"[٤٧].

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ) في القواعد المثلى: " القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته"[٤٨].

وقال الشيخ العلامة عبد الرحمن البراك في تعليقاته على فتح الباري: "الصواب أن أسماء الله عز وجل وصفاته توقيفية، ومعنى ذلك أنها مبنية على توقيف من الله تعالى أو رسوله ﷺ؛ فلا يثبت له من الأسماء والصفات إلا ما جاء في الكتاب والسنة، فلا يسمى إلا بما سمى به نفسه أو سمّاه به رسوله ﷺ، ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ"[٤٩].

هذه بعض نقولات نجوم الأعلام من أئمتنا مصابيح الدجى، ومشاعل الهداية، رحم الله أمواتهم وبارك في أحيائهم، وما تركت من كلام السلف المتقدمين والمتأخرين كثير كثير.

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه، وقد لخصها ابن العثيمين[٥٠]:

الأول: التصريح بالصفة.

كالعزة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس : ٦٥]، والقوة في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، والرحمة في قوله سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[الأنعام: ١٣٣]، والوجه في قوله جل وعلا: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٧٢] ونحوها.

الثاني: تضمن الاسم للصفة.

مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها.

كالاستواء على العرش في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، والمجيء في قوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر: ٢٢] ونحوها.

فتبين أن السلف من السابقين واللاحقين على طريقة واحدة لا يتجاوزون القرآن والسنة في إثبات صفات الرب تعالى، وأنهم يقفون حيث وقف النص تعظيما لله تعالى ووقوفا عند حدود الغيب التي يحرم الخوض فيه بغير برهان من الوحي، ومن سلك طريقهم فقد سلك طريق الهدى المستقيم.

وبهذا يتبين أيضاً خطأ من يصفون الله تعالى بما لم يصف به نفسه؛ لأنه قول على الله بغير علم، وهو أمر محرم بنص التنزيل كما قال الحق تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٣٣]، وكما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء:٣٦].

المطلب الثاني: تقريرهم أن الرب تعالى متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها منذ الأزل.

وهذا من الأمور البدهية التي تشهد بها العقول الصحيحة والفطر السليمة، إذ لا يتصور الرب المعبود الحق إلا متصفا بصفات الكمال منزها عن صفات النقص.

كما قال الحق تعالى: قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[النحل: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الروم: ١٢٧].

أي:"الوصف الأكمل، الذي هو أعظم الأوصاف، وأكملها وأجلها في السماوات والأرض"[٥١].

وقال الإمام ابن القيم (ت٧٥١هـ): "جعل مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال للمشركين وأربابهم، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده"(٥٢).

والآن إلى جملة من كلام السلف في تقرير كمال الصفات الإلهية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٧هـ)رحمه الله لما تكلم عن ثبوت الكلام الإلهي: "الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى، يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه، فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وإن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية، مع دلالة السمع على ذلك"(٥٣).

وقال الإمام ابن القيم (ت٧٥١هـ): "أسماؤه كلها مدح وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنى، وصفاته كلها صفات كمال ونعوتُه كلُّها نعوتُ جلالٍ"(٥٤).

وقال الإمام ابن أبي العز (ت٧٩٢هـ) مقررا ثبوت صفات الكمال لله تعالى منذ الأزل كما هو قول سائر السلف: "لم يزل – الله – متصفا بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها؛ لأن صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده، ولا يرد على هذه صفات الفعل والصفات الإختيارية ونحوها كالخلق والتصوير والإماتة والإحياء والقبض والبسط والطي والاستواء والإتيان والمجيء والنزول والغضب والرضى ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ولكن أصل معناه معلوم لنا "(٥٥).

ومن علماء السلف المعاصرين الإمام العلامة محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، قال: "صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك، وقد دل على هذا: السمع والعقل والفطرة" (٥٦). ثم ساق الأدلة.

والعلامة ابن جبرين (ت١٤٣٠هـ)، قال: "صفات الله تعالى كلها صفات كمال، إذا أثبتناها فإننا نعتقد أنها صفات كمال "[٥٧].

والشيخ الدكتور عبد العزيز الراجحي: "صفات الله كلها عليا، صفات كمال ومدح ليس فيها نقص بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعلو وغير ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل: ٦٠]؛ ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته.

هذه قاعدة معلومة صفات الله كلها عليا وكلها كمال كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل: ٦٠] أي: الوصف الكامل"[٥٨].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وهي واجهة سلفية تمثل منهج العلماء والدولة: "صفات الله سبحانه كثيرة لا يعلمها إلا هو، وكلها صفات كمال، وكل ما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله في سنته - وجب إثباته واعتقاده"[٥٩].

والكلام في الباب كثير والقصد الإشارة التي يتحقق بها الغرض وقد تم بحمد الله.

والسلف عندما يثبتون الصفات للرب تعالى فهم يثبتونها مع اعتقاد إنها صفات كمال كما مر، سواء كانت الصفة مطلقة وهي التي تكون كمالا محضاً، أو مقيدة وهي التي تكون كمالا في حال دون حال.

ومثال الأولى: "الخلق والرزق والكلام وما أشبه ذلك ، هذا كمال مطلق، فيوصف الله به على الإطلاق، فيقال: إن الله متكلم رازق خالق وما أشبه ذلك"[٦٠].

ومثال الثانية: "المكر والخديعة والاستهزاء والكيد، هذا يكون كمالاً في حال ونقصاً في حال، فلا يوصف الله به إلا على وجه الكمال، فالمكر مثلاً: لا يجوز أن تصف الله بالمكر على سبيل الإطلاق، وتقول: إن الله ماكر ، هذا حرام ، لأنه يفهم من ذلك النقص والعيب، فإن المكر عند الإطلاق صفة قدح وذم، لكنه عند المقابلة يكون صفة مدح، فتقول : إن الله يمكر بمن يمكر به وبرسوله ، وهنا صار المكر صفة كمال ومدح يعني أنه أعلى من مكر أعدائه، كذلك إذا وصفت المكر بما يدل على الكمال فلا بأس،

مثل أن تقول: الله خير الماكرين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[آل عمران: ٥٤]"[٦١].

وكذا القول في الخديعة والاستهزاء والكيد، لا يقال: الله يخادع ويستهزء ويكيد؛ لأن هذه الصفات لم تأت إلا على سبيل الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، فلا يصح أن يوصف الله بها وصفاً مطلقاً.

ومن صفات الكمال التي يثبتها السلف على ما يليق بجلال الله تعالى:

صفة الحياة كما قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

ووجه الكمال فيها: أنها"حياة كاملة مستلزمة لكل صفات الكمال، لم يسبقها عدم، ولا يلحقها فناء"[٦٢].

ومن صفات الكمال العلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[التوبة: ١١٥].

ووجه الكمال فيه: أنه علم "كامل شامل لكل: صغير وكبير، وقريب وبعيد، لم يسبقه جهل، ولا يلحقه نسيان"[٦٣].

ومن صفات الكمال القدرة، كما قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الطلاق: ١٢].

ووجه الكمال فيها: أن له قدرة " كاملة، لم تسبق بعجز ولا يلحقها تعب"[٦٤].

ومن صفات الكمال الحكمة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩].

ووجه الكمال فيها: أنها "حكمة بالغة، منزهة عن العبث، شاملة لخلقه وشرعه"[٦٥].

وهكذا القول في سائر الصفات الكمالية.

وكان السلف يراعون الإثبات المفصل والنفي المجمل كما هي طريقة القرآن؛ لأن الكمال فيها.

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٧هـ):"ومن أبلغ العلوم الضرورية: أن الطريقة التي بعث الله بها أنبياءه ورسله، وأنزل بها كتبه، مشتملة على

الإثبات المفصل والنفي المجمل، كما يقرر في كتابه، وعلمه، وقدرته، وسمعه، وبصره، ومشيئته، ورحمته، وغير ذلك.

ويقول في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١]،﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، وعلى أهل العلم والإيمان اتباع المرسلين من الأولين والآخرين"[٦٦].

وعندما ينفي السلف صفات النقص فإنهم ينفونها مع اعتقاد ثبوت كمال ضدها؛ لأن النفي المحض ليس بمدح، قال شيخ الإسلام (ت٧٢٧هـ): "وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه، فثبوت الحياة مستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وإن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية، مع دلالة السمع على ذلك"[٦٧].

وقال ابن أبي العز(ت٧٩٢هـ):" كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده كقوله تعالى : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٩]، لكمال عدله، وقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[سبأ: ٣]، لكمال علمه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق: ٣٨]لكمال قدرته، وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة: ٢٥٥]لكمال حياته وقيوميته، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] لكمال جلاله وعظمته وكبريائه.

وإلا فالنفي الصرف لا مدح فيه ...ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً عكس طريقة أهل الكلام المذموم"[٦٨]، ثم استطرد في الشرح.

وقال العثيمين (ت١٤٢١هـ): "فصفات الله تعالى كلها صفات كمال، سواء كانت صفات ثبوت، أم صفات نفي، وقد سبق أن النفي المحض لا يوجد في صفات الله تعالى، وأن المقصود بصفات النفي نفي تلك الصفة لا تصافه بكمال ضدها"[٦٩].

ويعتقد السلف تنزيه الرب تعالى عن صفات النقص، مثل السنة والنوم، والموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها، مستدلين لذلك بنصوص

الوحي التي تتفق مع العقل الصحيح وتنسجم مع الفطرة السليمة، وشواهد ذلك كثيرة.

ففي نفي السنة والنوم قال سبحانة: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة: ٢٥٥].

وفي نفي الموت قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان: ٥٨].

وفي نفي النسيان قال تعالى حكاية لقول موسى عليه السلام: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢].

وفي نفي العجز قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وفي نفي العمى قال النبي ﷺ في الدجال: «إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور»(٧٠)..

وفي نفي الصمم قال ﷺ: «أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا»(٧١)"(٧٢).

ويدخل في هذا الباب اعتقاد السلف أن صفات الرب تعالى لا تشبه صفات المخلوقين؛ لأن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١]،لا في ذاته ولا في صفاته، وما يكون من اشتراك في الصفات بين الخالق والمخلوق فهو من باب الاشتراك اللفظي فحسب، ولا يستلزم التمثيل والتشبيه؛ لأن لكل ما يليق به.

المطلب الثالث: تقريرهم إجراء نصوص الصفات على ظاهرها، مع اعتقادهم أنها معلومة المعنى مجهولة الكيف.

فإن الله تعالى خاطبنا بلسان عربي مبين لنعقل عنه ونفهم مراده، كما قال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥]، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف: ٢]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[الشورى: ٧] إلى غير ذلك من الآيات.

وكان نزول القرآن الكريم بلغة العرب؛ لأنها: "أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس"[٧٣].

هذا نص ما قاله الإمام ابن كثير (ت٧٤٩هـ)، ووافقه عليه كثير من المفسرين وغيرهم في القديم والحديث.

ونستفيد من ذلك أنه يجب فهم النصوص على مقتضى اللسان العربي، لا أن تأول وتصرف عن ظاهرها كما هو حال أهل البدع بغير برهان ولا دليل.

وقد تعامل السلف مع نصوص الصفات من هذا المنطلق، ففهموها وفق اللسان العربي المبين كما خاطبهم به ربهم تعالى، وأجروها على ظاهرها اللائق بها، مع بعدهم عن التأويل والتعطيل والتشبيه.

وللسلف في تقرير هذه القاعدة أقوال امتلأت بها كتبهم ومصنفاتهم، وسارت بها ركبان العلماء وطلابهم في مشارق الأرض ومغاربها، وأسوق إليك طائفة من تلكم الأقوال المباركة التي تتفق في المعنى وتتنوع في العبارة أحيانا كثيرة؛ لتؤكد ما عنونت به المطلب:

وأبدأ بما قرره الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) مقدما كلامه على كثير ممن سبقه؛ لجمعه لمعان كثيرة مما نحن بصدده، إذ قال رحمه الله: "أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف - رضي الله عنهم - إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين - عز وجل - إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: لله يد، وسمع، وبصر، إنما هو إثبات صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولا نقول إن معنى اليد القدرة، ولا أن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: أنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات الفعل، ونقول : إنما وجب إثباتها؛ لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ

﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى: ١١]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]"[٧٤].

وقال الوليد بن مسلم (ت١٩٥هـ): "سئل الأوزاعي، ومالك، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه، فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية"[٧٥].

وقال الإمام محمد بن خزيمة (ت٣١١هـ) مبينا لمذهب علماء السلف على اختلاف بلدانهم وتباعد أقطارهم وأنهم يثبتون ولا يشبهون: "فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونقر بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، وعز ربنا أن نشبهه بالمخلوقين، وجل ربنا عن مقالة العاطلين، وعز أن يكون كما قاله المبطلون"[٧٦].

وحكى أبو الحسن الأشعري (ت٣٣٠هـ) إجماع السلف على إثبات الصفات مع التتريه، فقال: "وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه، ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب، وترك التكيف له لازم"[٧٧].

وتلاه الحافظ ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، إذ قال: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، و لم يكيفوا سيئا منها"[٧٨].

وقرر الإمام الأصبهاني (ت٥٣٥هـ) بدعية أهل التأويل، إذ قال: "قال أهل السنة: الإيمان بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥] واجب، والخوض فيه بالتأويل بدعة"[٧٩].

وقد ذكر الشهرستاني (ت٥٤٨هـ) طائفة من علماء السلف البارزين ممن قرروا المذهب، بعد ذكره طائفة ممن ضل في الصفات، فقال: "وأما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ولا تهدفوا للتشبيه فمنهم: مالك بن أنس رضي الله عنهما، إذ قال: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسوال عنه بدعة. ومثل: أحمد بن حنبل رحمه الله، وسفيان الثوري، وداود بن علي الأصفهاني، ومن تابعهم"[٨٠].

وقرر ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ) أن منهج السلف والخلف واحد في الصفات، فقال: "وعلى هذا درج السلف والخلف رضي الله عنهم، فهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله، وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها ضلالات"(٨١).

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٧هـ) فكلامه في المسألة كثير جدا، وقد قررها في غير ما كتاب من كتبه التي لازال عطاؤها ثر وبركتها متنامية حتى يومنا هذا، وإليك بعضا من نفائس أقواله، قال رحمه الله: "والآيات التي ذكر الله فيها أنها متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله إنما نفى عن غيره علم تأويلها لا علم تفسيرها ومعناها ـ ثم ذكر قول مالك وشيخه ربيعة المشهور في الاستواء، وقال: ـ فبين مالك أن معنى الاستواء معلوم، وأن كيفيته مجهولة، فالكيف المجهول هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وأما ما يعلم من الاستواء وغيره فهو من التفسير الذي بينه الله ورسوله، والله تعالى قد أمرنا أن نتدبر القرآن، وأخبر أنه أنزله لنعقله، ولا يكون التدبر و العقل إلا لكلام بين المتكلم مراده به، فأما من تكلم بلفظ يحتمل معاني كثيرة و لم يبين مراده منها فهذا لا يمكن أن يتدبر كلامه ولا يعقل"(٨٢).

وقال أيضاً بعد ذكره كلام مالك وشيخه ربيعة في الاستواء ما نصه: "ومثل هذا يوجد كثيرا في كلام السلف، والأئمة ينفون علم العباد بكيفية صفات الله، وأنه لا يعلم كيف الله إلا الله، فلا يعلم ما هو إلا هو"(٨٣) مما يعني اتفاقهم على نفي علم الكيف لا علم المعاني.

وقال مبينا مذهب السلف: "سلف الأمة وأئمتها كانوا على الإيمان الذي بعث الله به نبيه ﷺ، يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. ويقولون: إن القرآن كلام الله تعالى، ويصفون الله بما و صف به نفسه من التكليم والمناجاة والمناداة، وما جاءت به السنن والآثار موافقة لكتاب الله تعالى"(٨٤).

ومن نفيس قوله في كتابه بيان تلبيس الجهمية: "المشهور بين أهل السنة والجماعة: أنه لا يقال في صفات الله عز وجل:كيف، ولا في أفعاله:لم، وقد ذكرنا في غير هذا

الموضع أن السلف والأئمة نفوا علمنا الآن بكيفيته، كقول مالك رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول"[٨٥].

وقال في موضع أخر من نفس الكتاب: "وأكثر أهل الحديث والسنة من أصحاب الإمام أحمد رحمه الله وغيرهم لا ينفون ثبوت الكيفية في نفس الأمر؛ بل يقولون: لا نعلم الكيفية. ويقولون: لا تجري ماهيته في مقال ولا تخطر كيفيته ببال؛ بل كما قال الشريف أبو علي ابن أبي موسى وأبو الفرج المقدسي وغيرهما، وهو موافق لقول السلف رضي الله عنهم والأئمة، كما قالوا: لا يعلم كيف هو إلا هو. كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول. وأمثال هذا كثير في كلامهم"[٨٦].

وقال الإمام الذهبي (ت٧٤٨هـ) بعد ذكره قول مالك وإشارته إلى مذهب شيخه ربيعة: "هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها؛ بل نجهلها، وأن الاستواء معلوم كما أخبر تعالى في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتعمق، ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً؛ بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا"[٨٧].

وقال الإمام ابن كثير (ت٧٤٩هـ) -لما تكلم عن الاستواء مجملا الكلام عن المخالفين فيه- مبينا أن مسلكه في تقرير الصفات هو مسلك السلف الصالح تماما: "نسلك في هذا المقام مسلك السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت، من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله؛ فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ بل الأمر كما قال الأئمة، منهم: نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري، قال: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه.

فمن أثبت لله ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائص؛ فقد سلك سبيل الهدى"(٨٨).

وقد شخص الإمام مرعي المقدسي (ت١٠٣٣هـ) واقع الناس الذين كانوا يغشون مجلس النبي ﷺ وأنهم طبقات متباينة الأفهام والمدارك، و لم يكن عندهم إشكال في فهم معاني كلام الله تعالى بصفة عامة ونصوص الصفات بصفة خاصة، فقال رحمه الله: "ومن المعلوم أنه عليه السلام كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي الجافي، ثم لا يجد شيئا يعقب تلك النصوص مما يصرفها عن حقائقها، لا نصاً وظاهراً كما تأولها بعض هؤلاء المتكلمين.

و لم ينقل عنه عليه السلام أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقية واليدين ونحو ذلك، ولا نقل عنه أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، ولما قال للجارية: أين الله؟ فقالت: في السماء. لم ينكر عليها بحضرة أصحابه كي لا يتوهموا أن الأمر على خلاف ما هو عليه؛ بل أقرها، وقال: أعتقها فإنها مؤمنة. إلى غير ذلك من الدلائل التي يطول ذكرها.

و لم يقل الرسول ولا أحد من سلف الأمة يوما من الدهر: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، وكيف يجوز على الله ورسوله والسلف أنهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق؟، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يتكلمون به ولا يدلون عليه؟"(٨٩).

وقال السفاريني(ت١١١٨هـ) بعد أن ذكر جملة من أقوال السلف في المسألة، وبعد ذكره قول الإمام مالك المشهور في الاستواء، ومن قبله شيخه ربيعه، ومن قبلهما أم سلمة رضي الله عنها، قال: "وقولهم: والسؤال عنه بدعة. ؛ لأن الصحابة – رضي الله عنهم – لم يسألوا عنه رسول الله ﷺ، والتابعين لم يسألوا الصحابة؛ ولأن جوابه يتضمن الكيفية .

ولهذا قيل في الجواب لمن دخلت عليهم الشبهة طالبين بسؤالهم التكييف: والكيف مجهول، فالذي ثبت نفيه بالشرع والعقل واتباع السلف: إنما هو علم العباد بالكيفية، فعندها تنقطع الأطماع، وعن دركها تقصر العقول... ولسنا في اتباع المأثور مع

التسليم للمولى الحكيم على وجل، فإنا نقتفي أثر المأثور، ونشهر سيوف السنة لأعناق أهل البدع والنفي باتباع المشهور، ونرد على كل من ألحد"[٩٠].

وقال الشيخ سليمان بن سحمان (ت١٣٤٩هـ) وهو من السلف المتأخرين: "وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التي أخبر عنها، وذلك في حق الله هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره؛ ولهذا قال مالك و ربيعة وغيرهما: "الاستواء معلوم والكيف مجهول"، وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف، يقولون: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه.

ولهذا رد أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) على الجهمية والزنادقة فيما طعنوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله، فرد على من حمله على ما أريد به، وفسر هو جميع الآيات المتشابهة وبين المراد به.

كذلك الصحابة والتابعون فسروا جميع القرآن، وكانوا يقولون: إن العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به"[٩١].

من علماء السلف المعاصرين الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ) ر ما كان عليه السلف بقوله: "ظواهر نصوص الصّفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة ا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة، قد دلّ على ذلك: السّمع والعقلُ"

م ساق الأدلة التي تبين أن التدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه، ليتذكّر لإنسان بما فهمه منه.

ثم قال:" وكون القرآن عربيّاً ليعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم، وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها، وبيان النبي ﷺ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه"، واستدل لصحة مذهب السلف بالعقل فقال: "وأما العقل فلأن من المحال أن ينزل الله تعالى كتاباً أو يكلّم رسوله ﷺ، بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق، ويبقى في أعظم الأمور وأشدّها ضرورة مجهول المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء لأن ذلك من السفه الذي تأباه

حكمة الله تعالى وقد قال الله تعالى عن كتابه: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]"[٩٢].

وقال العلامة الشيخ السلفي عبد الرحمن البراك في تعليقه على فتح الباري: "نصوص الصفات ومنها الاستواء قد خفي معناها على كثير من الناس، فوقعوا في الاضطراب فيها، وعلم العلماء من السلف وأتباعهم معانيها المرادة منها، فأثبتوها، وفوضوا علم حقائقها وكيفياتها إلى الله تعالى"[٩٣] ثم استشهد بقول مالك وشيخه ربيعة الرأي.

وبهذا العرض والبيان يتضح منهج السلف وموقفهم من صفات الرب تعالى، وأنها صفات معلومة المعاني، ثابتة للرب تعالى على الحقيقة من غير تكييف أو تشبيه لها بصفات المخلوقين.

المطلب الرابع: تقريرهم التفريق بين إضافة الملك وإضافة الصفة.

التمييز بين الأمور وعدم الخلط بينها مما يميز مذهب السلف عن غيره، فهم يميزون بين أنواع الإضافات إلى الرب تعالى فلا يخلطون بينها، ولا يجحدون شيئا منها، ولذا فهم يفرقون بين إضافة الملك الخاصة، وإضافة الإيجاد العامة، وإضافة الصفة للموصوف، وبذا أثبتوا للرب تعالى ما يليق به من الصفات التي أضافها إلى نفسه كالعلم، والسمع، والبصر، واليد، والوجه، وغير ذلك مما جاء به النص، خلافا لمن ضل في هذا الباب من الطوائف التي لم تميز بين نوعي الإضافة، كالجهمية والمعتزلة الذين أنكروا إضافة الصفات إلى الرب تعالى، وجعلوها من باب إضافة التشريف.

فالأولى إضافة ملك، وهي من الإضافات الخاصة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] فأضاف الروح هنا إلى خالق ومالك، وهي عند السلف من الإضافات الخاصة للتشريف والتكريم، ومثلها:

بيتي، في قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

وعبد الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

وناقة الله، في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣].

الروح والعبد والناقة أعيان قائمة بنفسها، وهي مخلوقة مربوبة مدبرة، أضيفت إلى الرب تعالى من باب التكريم والتشريف والتمييز.

والثاني إضافة إيجاد، وهي من الإضافات العامة إلى الربوبيته؛ وهي تقتضي الخلق والإيجاد لا التشريف والاختيار كسابقتها.

وقد فصل الكلام في ذلك ابن القيم (ت٧٥١هـ) رحمه الله تعالى لما تكلم على الروح المضافة إلى الرب تعالى، فقال: "هذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه، بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته؛ حيث تقتضي خلقه وإيجاده.

فالإضافة العامة تقتضي الإيجاد، والخاصة تقتضي الاختيار، والله يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[القصص: ٦٨]، وإضافة الروح إليه من هذه الإضافة الخاصة لا من العامة، ولا من باب إضافة الصفات، فتأمل هذا الموضع فإنه يخلِّصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس"[٩٤].

والثالث إضافة صفة إلى موصوف؛ كما في قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فالرحمة صفة تقوم بغيرها لا بذاتها، فهي من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

ومثلها: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٧]، وكذا: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فالوجه والكلام صفتان لا تقوم بذاتهما، وإنما بالموصوف بهما، وهو الرب تبارك وتعالى.

ومثلها: العلم، والقدرة، والسمع، والبصر، واليد، كلها تضاف إلى الرب تعالى إضافة صفة إلى موصوف؛ لأنها صفات ومعاني تقوم بغيرها، وعليه فلا يصح التسوية بينها وبين المضافات للتشريف والتكريم أو المضافات للخلق والإيجاد كما مر.

وقد قرر السلف هذه المسألة، وردوا بها على من جحد الصفات من الجهمية والمعتزلة الذين جعلوا إضافة الصفات إلى الرب تعالى من باب إضافة التشريف، فعطلوه عما يليق به من الصفات التي أضافها إلى نفسه.

يقول شيخ الإسلام (ت٧٢٧هـ) في تقرير المسألة: "والمضاف إلى الله إن كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم، والقدرة، والكلام، والحياة، كان صفة له، وإن كان عينا قائمة بنفسها أو صفة لغيره كالبيت، والناقة، والعبد، والروح، كان مخلوقاً مملوكاً مضافاً إلى خالقه ومالكه، ولكن الإضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميز بها عن غيره حتى استحق الإضافة، كما اختصت الكعبة، والناقة، والعباد الصالحون بأن يقال فيهم: بيت الله، وناقة الله، وعباد الله كذلك.

واختصت الروح المصطفاة بأن يقال لها: روح الله، بخلاف الأرواح الخبيثة كأرواح الشياطين والكفار، فإنها مخلوقة لله ولا تضاف إليه إضافة الأرواح المقدسة، كما لا تضاف إليه الجمادات كما تضاف الكعبة، ولا نوق الناس كما تضاف ناقة صالح التي كانت آية من آياته"(٩٥).

وقال في موطن آخر: "وما ذكر في القرآن أنه منه أو ما أضيف إليه، فإن كان عينا قائمة بنفسها أو أمرا قائما بتلك العين كان مخلوقا، كقوله في عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وأما ما كان صفة لا تقوم بنفسها و لم يذكر لها محل غير الله كان صفة له، فكالقول، والعلم، والأمر إذا أريد به المصدر كان المصدر من هذا الباب، كقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وإن أريد به المخلوق المكون بالأمر كان من الأول، كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

وبهذا يفرّق بين كلام الله سبحانه، وعلم الله، وبين عبد الله، وبيت الله، وناقة الله، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وهذا أمر معقول في الخطاب، فإذا قلت: علم فلان وكلامه ومشيئته، لم يكن شيئاً بايناً عنه؛ والسبب في ذلك: أن هذه الأمور صفات لما تقوم به، فإذا أضيفت إليه كان ذلك إضافة صفة لموصوف، إذ لو قامت بغيره لكانت صفة لذلك الغير لا لغيره"(٩٦).

وقال الإمام ابن القيم (ت٧٥١هـ) عند قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وما شابهها من الآيات: "ما كان من الله فليس بمخلوق، ولا ينتقض هذا بأن

الرزق والمطر وما في السموات والأرض جميعا منه وهو مخلوق؛ لأن ذلك كله أعيان قائمة بنفسها وصفات وأفعال لتلك الأعيان، فإضافتها إلى الله سبحانه وإنما منه إضافة خلق، كإضافة بيته، وعبده، وناقته، وروحه، وبابه إليه، بخلاف كلامه فإنه لابد أن يقوم بمتكلمه، إذ كلام من غير متكلم كسمع من غير سامع، وبصر من غير مبصر، وذلك عين المحال، فإذا أضيف إلى الرب كان بمنزلة إضافة سمعه، وبصره، وحياته، وقدرته، وعلمه، ومشيئته إليه.

ومن زعم أن هذه إضافة مخلوق إلى خالق فقد زعم أن الله لا سمع له ولا بصر، ولا حياة، ولا قدرة، ولا مشيئة تقوم به، وهذا هو التعطيل الذي هو شر من الإشراك.

وإن زعم أن إضافة السمع، والبصر، والعلم، والحياة، والقدرة، إضافة صفة إلى موصوف، فإضافة الكلام إليه إضافة مخلوق إلى خالق فقد تناقض وخرج عن موجب العقل، والفطرة، والشرع، ولغات الأمم، وفرق بين مماثلين حقيقةً، وعقلاً، وشرعاً، وفطرةً، ولغةً"(٩٧).

وقال الإمام ابن أبي العز (ت٧٩٤هـ): "فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله نوعان: صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه، وقدرته، وحياته، صفات له، وكذا وجهه، ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت، والناقة والعبد، والرسول، والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً، يتميز بها المضاف عن غيره"(٩٨).

وعلى نفس المنوال جاء كلام السفاريني (ت١١١٨هـ) بمزيد تفصيل وبيان، إذ قال:

"ومما ينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله سبحانه نوعان:

صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، وهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فالعلم والقدرة إلخ صفات له تعالى غير مخلوقة، وكذا وجهه ويده ونحو ذلك من الصفات الخبرية والذاتية، وكذا الفعلية من التكوين، والمحبة، والرضا، ونحوها في مذهب السلف كما مر.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة كبيت الله، وناقة الله، وعبد الله، ورسول الله، وكذلك روح الله، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، ومصنوع إلى صانعه، لكنها تقتضي تخصيصاً أو تشريفاً يتميز به المضاف إليه عن غيره، كبيت الله، وإن كانت كل البيوت لله"(٩٩).

ومن علماء السلف المتأخرين العلامة عبد الرحمن بن قاسم (ت١٣٩٢هـ) قرر ما قرره السلف السابقون، إذ قال: "المضاف إليه سبحانه: نوعان:

أحدهما: أعيان قائمة بأنفسها، كبيت الله، وناقة الله، وروح الله، وعبده، فهذا إضافة مخلوق إلى خالقه، وهي إضافة اختصاص وتشريف.

الثاني: إضافة صفة إلى موصوفها، كسمعه، وبصره، وحياته، وعلمه، وقدرته، وكلامه، ووجهه، ويده ...إلخ"(١٠٠).

ومن السلف المعاصرين الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الله الغنيمان، قال: "والمضاف إلى الله تعالى إما أن يكون أعياناً قائمة بنفسها، كبيت الله، وناقة الله، ورسول الله، وعرش الرحمن، وما أشبه ذلك وهذا النوع من إضافة المخلوق إلى خالقه؛ لتفضيلها على غيرها من المخلوقات.

وإما إضافة معان، كعلم الله، وقدرة الله، وحياة الله، وسمع الله وبصره، وما أشبه ذلك، وهذا النوع لا يكون إلا إضافة صفة إلى من تقوم به؛ لأنها لا تقوم بنفسها كما هو معلوم(١٠١).

هذا نزر يسير من أقوال السلف في نوع المضاف إلى الرب تعالى وحكمه، وهو يبين موقفهم من الصفات وأنهم يثبتونها لله تعالى مفرقين بين إضافة وأخرى، وأنهم لم يسلكوا مسلك من ضل في هذا الباب من الطوائف التي لم تفرق بين إضافة الملك وإضافة الصفة حتى أنكرت الصفات، وأن إضافة الملك تقتضي التشريف لعين قائمة بنفسها، وإضافة الصفة تقتضي إضافة الصفة إلى الموصوف بها كونها لا تقوم بذاتها.

وأكتفي بهذه القدر من القواعد والضوابط، وما لم أذكره منها كثير ولبعضها تفريعات، وهي في مجملها تشهد أن مذهب السلف في الصفات هو المذهب الصحيح

دراسة وتقريرا واعتقادا، وهو الأهدى سبيلا؛ لارتكازه على أصول ثابتة، وقواعد مكينة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الرابع
مظاهر اهتمام السلف في تقرير توحيد الصفات

ما كان مذهب السلف ليبقى متوهجاً على مر العصور وتقلب الأزمان والدهور لولا حفظ الله تعالى له تبعا لحفظه كتابه الكريم، وقد بذل علماء السلف من المتقدمين والمتأخرين من الولاة، والأمراء، والدعاة، والعلماء الجهود الكبيرة والمشرفة لخدمة دينهم بصفة عامة وخدمة توحيد ربهم بصفة خاصة، ومنه توحيد الصفات الذي هو موضوع هذه الورقة، يتجلى ذلك من خلال التعليم والتدريس، ومن خلال التأليف والتصنيف، ومن خلال المواقف الثابتة، ومن خلال كشف زيف المذاهب الباطلة والتحذير من أهلها، وكذا من خلال عقد المؤتمرات والندوات ومنها هذه الندوة المباركة والمعنونة بـــ ((**السلفية منهج شرعي، وواجب وطني**)) والتي تعقدها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بموافقة سامية من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز أعزه الله، وبرعاية كريمة من سمو النائب الثاني الأمير نايف بن عبد العزيز وفقه الله ورعاه.

فهي امتداد لمذهب السلف المتقدم، وحلقة قوية من حلقاته التي لا تنفصل عنه ولا تنفك، وهي تؤكد أن السلفية ليست مرحلة زمنية مضت وانتهت؛ ولكنها منهج فكري ثابت قائم على نصوص الكتاب، وصحيح السنة، وفقه السلف الصالح، المتفق مع العقل الصحيح، والفطرة السليمة، ولغة العرب الأصيلة.

وفي هذه العجالة أسوق على اقتضاب شديد طرفاً من أقوالهم وجهودهم واهتماماتهم بالتوحيد ومنه توحيد الصفات.

ففي بيان جهود علماء السلف في الرد على أهل البدع ومنهم المشبهة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٧هـــ): "مقالة المشبهة الذين يقولون: يد كيدي، وقدم كقدمي، وبصر كبصري، مقالة معروفة، وقد ذكرها الأئمة كيزيد بن هارون، وأحمد

بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وغيرهم وأنكروها وذموها، ونسبوها إلى مثل داود الجواربي البصري وأمثاله"(١٠٢).

ويقول الإمام إبراهيم بن علي الطرسوسي(ت٧٥٨هـ) في بيان منهج السلف، وطريقتهم في عرض العقائد تأليفاً وتعليماً وفي مقدمتها توحد الأسماء والصفات: "ونهجهم في توحيد الصفات أن يسردوا العقائد للأمة سرداً، مع ذكر أدلتها من الكتاب والسنة، دون أن يغوصوا في تأويلها أو تشبيهها، أو يترلقوا إلى مختلف التصورات الضالة التي سقطت فيها مختلف الفرق، فعقيدتهم بذلك حق بين باطل المشبهة والمجسمة، وبين باطل المعطلة الذين يعتبرون تصرفات الله تعالى غير حقيقية بغلو من التأويل الضال، وعلى هذا النهج كان الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد"(١٠٣).

وقال الحافظ ابن رجب (ت٧٩٥هـ) في نقده لطائفة ممن ضل في الصفات، وبيانه موقف السلف منهم: "ومن محدثات الأمور ما أحدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم، من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول، وهي أشد خطرا من الكلام في القدر؛ لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله، وهذا كلام في ذاته وصفاته، وينقسم هؤلاء إلى قسمين: **أحدهما**: من نفى كثيرا مما ورد به الكتاب والسنة؛ لاستلزامه عنده التشبيه كنفي الرؤية والاستواء، وهذا طريق المعتزلة والجهمية، وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم، وقد سلك سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن ينتسب إلى السنة والحديث من المتأخرين. **والثاني**: من رام إثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الأثر، ورد على أولئك"(١٠٤).

وقد صنف علماء السلف في التوحيد بصفة عامة، وفي توحيد الأسماء والصفات بصفة خاصة مصنفات ذكر بعضها الإمام مرعي بن يوسف (ت١٠٣٣هـ) على سبيل الإجمال، فقال: " كلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن أن نذكر منها هنا إلا قليلا، مثل: كتاب السنن للالكائي، والإبانة لابن بطة، والسنة لأبي ذر الهروي، ولأبي عبدالله بن منده، والأصول لأبي عمر الطلمنكي، وكلام أبي عمر بن عبدالبر والأسماء والصفات للبيهقي، وقبل ذلك السنة للطبراني، ولأبي الشيخ

الأصبهاني، وقبل ذلك السنة للخلال، والتوحيد لابن خزيمة، وكلام أبي العباس بن سريج والرد على الجهمية لجماعة، وقبل ذلك السنة لعبدالله بن الإمام أحمد، والسنة لأبي بكر الأثرم، والسنة لحنبل وللمروزي ولأبي داود ولابن أبي شيبة، والسنة لابن أبي حاتم، وكتاب الرد على الجهمية لعبدالله بن محمد شيخ البخاري، وكتاب الرد على الجهمية للدارمي، وكتاب نعيم ابن حماد الخزاعي، وكتب عبدالرحمن بن أبي حاتم، وكلام الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأمثالهم... ثم القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا نتجاوز القرآن والحديث"(١٠٥).

ويقول الإمام السفاريني (ت١١١٨هـ) في ثنائه على مذهب السلف، وبيانه لطريقتهم وحقيقة فهمهم وتعاملهم مع النصوص، وبيان خطأ وبطلان ما ألصق بهم مما هم بريئون منه ما نصه: "مذهب السلف هو المذهب المنصور، والحق الثابت المأثور، وأهله هم الفرقة الناجية، والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة، ولكل مكرمة راجية، من الشفاعة والورود على الحوض، ورؤية الحق، وغير ذلك من سلامة الصدر والإيمان بالقدر، والتسليم لما جاءت به النصوص.

فمن المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين، كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه ممن لا يقدر قدر السلف، ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به حق المعرفة المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، وهؤلاء إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهور، وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين باطلين: الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم"(١٠٦).

وقد ذكر العلامة الشيخ عبد الله بن جبرين (ت١٤٣٠هـ) - وهو من علماء السلف المعاصرين - جهود السلف السابقين في التأليف في باب الصفات وسبب تأليفهم، وبين ما قد يشكل من مسميات كتبهم، فقال رحمه الله ما نصه: "وقد اجتهد السلف

رحمهم الله في تقرير توحيد الصفات، وما ذاك إلا لأنهم ابتلوا في زمانهم بمن أنكره أو بمن غلا في إثباته، فقد أنكره قوم -وسموهم الجهمية والمعتزلة- حيث نفوا صفات الله تعالى ذاتية كانت أو فعلية، وغلا فيه قوم -وسموهم المشبهة- حيث زادوا في الإثبات حتى جعلوا صفاته كصفات خلقه، فاجتهد السلف رحمهم الله في إثبات ذلك، وقرروه أتم تقرير، وكتبهم بحمد الله موجودة ميسرة، وهي الكتب التي سموها (كتب السنة)، أو (كتب التوحيد)، أو (كتب الإيمان)، أو (الاعتقاد)، أو (الأسماء والصفات)، أو ما أشبه ذلك من الأسماء.

فإذا وجدت للسلف كتاباً باسم (كتاب السنة) فإنه يعني الصفات، أو وجدت كتاباً باسم (التوحيد) فإنه يعني توحيد الصفات، أو وجدت كتاباً باسم (الاعتقاد) فإنه يعني هذا الباب، أو وجدت كتاباً باسم (الأسماء والصفات) فإنه يعنى به هذا الأمر، أو وجدت كتاباً باسم (الإيمان) فإنه يعنى به هذا التوحيد"[١٠٧].

ومن علماء السلف المعاصرين المجاهدين لأهل الزيغ والضلال الشيخ العلامة صالح الفوزان، فإنه لما تكلم عن توحيد الأسماء والصفات قال: "وهذا القسم قد جحده الجهمية وتلاميذهم، وهو في الحقيقة داخل في توحيد الربوبية، لكن لما كثر منكروه وروجوا الشبه حوله؛ أفرد بالبحث، وجعل قسماً مستقلاً، وألفت فيه المؤلفات الكثيرة . فألف الإمام أحمد رده المشهور على الجهمية، وألف ابنه عبد الله كتاب السنة، وألف عبد العزيز الكناني كتاب الحيدة في الرد على بشر المريسي، وألف أبو عبد الله المروزي كتاب السنة، وألف عثمان بن سعيد كتاب الرد على بشر المريسي، وألف إمام الأئمة محمد بن خزيمة كتاب التوحيد، وألف غير هؤلاء كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم هؤلاء ومن جاء بعدهم وسار على نهجهم، فلله الحمد والمنة على بيان الحق ودحض الباطل"[١٠٨].

وقد أجاد الباحث الدكتور خالد كبير إذ ذكر طائفة من العلماء ممن كان لهم جهود في نصرة مذهب السلف مبينا بإيجاز نوع اهتماماتهم، فقال: "ومن رجالها في القرن الخامس الهجري خمسة علماء، أولهم شيخ الشافعية ببغداد أبو حامد الاسفراييني (ت٤٠٦هـ) قاوم الأشعرية الأولى في سعيها لنشر أفكارها و التسلل إلى الشافعية.

وثانيهم الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي البغدادي(ت٤١٨هـ)، صاحب كتاب شرح اعتقاد أهل السنة، أثبت فيه مذهب السلف في الصفات و رد على الأشاعرة وغيرهم.

وثالثهم أبو عثمان إسماعيل الصابوني (ت٤٤٩هـ)، له كتاب في اعتقاد أهل السنة، نصر فيه مذهب السلف، و خالف الأشعرية في التأويل و الإيمان و غيرهما.

ورابعهم الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، له كلام جيد في تقرير مذهب السلف في الصفات.

وآخرهم - أي الخامس- الحافظ الصوفي أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني المكي (ت٤٧١هـ) كان من أصحاب الحافظ أبي نصر السجزي، و له رد على أبي ذر الهروي الأشعري، و قصيدة في قواعد أهل السنة"[١٠٩].

وقد ذكر جملة من علماء القرن السادس، فقال: "أولهم الفقيه محمد بن عبد المالك الكرجي(ت٥٣٢هـ)، له قصيدة مشهورة في عقيدة السلف، وله كتاب الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول، حكى فيه مذهب السلف عن عشرة من أئمته، كسفيان الثوري، و عبد الله بن المبارك، و الليث بن سعد.

وثانيهم المتكلم أبو الحسن أحمد بن الأبنوسي البغدادي(ت ٥٢٤هـ)، كان شافعي الفروع معتزلي الأصول، ثم ترك الاعتزال و تحوّل إلى مذهب أهل الحديث في الأصول.

وثالثهم المقرئ اللغوي أبو البيان محمد بن محفوظ السلمي الدمشقي (ت٥٥١هـ)، كان لهجا بإثبات الصفات، منافرا للمتكلمين نفاة الصفات، وقد جرى بينه و بين الشيخ الأمين بن تميم الأشعري كلام في مسألة كلام الله تعالى، فقال له أبو البيان: "ويحك ، الحنابلة إذا قيل لهم ما الدليل على أن القرآن بحرف و صوت، قالوا: قال الله كذا، وقال رسوله كذا، وسرد الآيات و الأخبار عن ذلك، ثم قال له: و أنتم إذا قيل لك : ما الدليل على إن القرآن معنى قائم بالنفس؟ قلتم: قال الأخطل: إن الكلام لفي الفؤاد، ثم قال له: إيش هذا الأخطل، نصراني خبيث، بنيتم مذهبكم على بيت شعر من قول، وتركتم الكتاب والسنة.

والرابع هو شيخ الشافعية باليمن أبو الخير يحيى بن سالم العمراني(ت٥٥٨هـ)، كان شافعي الفروع حنبلي الأصول، له كتاب مشهور في مذهب السلف نصر فيه مقالتهم و رد فيه على الجهمية والأشاعرة.

وآخرهم- أي الخامس- المقرئ أبو عبد الله الكيزاني المصري(ت٥٦٢هـ)، تعصب عليه النجم الخبوشاني الأشعري، فنبش قبره و أخرج رفاته و دفنها في موضع آخر، لأنه كان على مذهب الحنابلة وأهل الحديث في الأصول، و لم يكن أشعريا مثله، فلم تشفع عنده شافعيته ليُبقيه مدفونا بجانب قبر الشافعي!"[١١٠].

ومؤلفات السلف في هذا الباب كثيرة جدا، وهي تحتاج إلى دراسة مستقلة لا تكفي بحقها هذه الورقات؛ بل تحتاج إلى دراسة متخصصة مستقلة ذات منهجية معينة، تقوم بحصر مصنفاتهم في القديم والحديث، ومن ثم التعريف بأصحابها وما تضمنته كتبهم من موضوعات وأفكار سواء ما يتعلق بعرض عقائد السلف على استقلال، أو بعرض الشبه ودحضها.. وعسى أن يكون لجامعة الإمام سبق في ذلك، كما كان لها السبق في عقد هذه الندة المباركة عن السلفية.

محنة العلماء في العقيدة:

تعرض بعض علماء السلف للامتحان بسبب ثباتهم على عقيدة السلف، ومن أبرز المبتلين الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، الذي ابتلى في مسألة خلق القرآن، والتي سجن بسببها وضرب، وسجن معه آخرون من علماء السلف وقتل بعضهم، وخبر المحنة مشهور في كتب التاريخ والسير مما يتعذر الاسترسال فيه الآن، ولكني أذكّر بكلمتين.

الأولى: لابن المديني (ت٢٤٣هـ)، فقد حفظ لنا التاريخ قوله: "نصر الله هذا الدين برجلين: أبي بكر يوم الردة، وأحمد يوم المحنة"[١١١].

والثانية: لأبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ) الذي سطر لأحمد أجمل ثناء وأعطره، إذ قال: "قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز و جل، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن

بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم"(١١٢).

هذا أنموذج واحد من جهاد العلماء وصبرهم في سبيل نصرة عقيدة السلف، وتضحيتهم من أجلها، فجزاهم الله خيرا.

تحذير علماء السلف من أهل الأهواء والبدع:

ولا يفوتني التنبيه على أن السلف قد أدركوا خطورة مسالك أهل الأهواء والبدع، فحذروا منهم أشد التحذير، ولهم في ذلك جهود واضحة مشكورة، وعبارات خالدة مشهورة، لعل من أبرزها:

قول الحسن البصري (ت١١٠هـ) محذرا: "لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم"(١١٣).

وكذا حذر الإمام مالك (ت١٢٩هـ) من علم الكلام مبينا أن سلف الأمة الأول لم يخوضوا فيه لبطلانه، فقال: "لو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل"(١١٤).

وقال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة (ت١٨٢هـ): "العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم"(١١٥).

وقال الإمام الشافعي(ت٢٠٤هـ) في أهل الكلام قولته المشهورة: "حكمي في أهل الكلام أن يُطاف بهم في القبائل والعشائر ويضربوا بالجريد، ويُقال: هذا جزاء من ترك كتاب الله واتبع علم الكلام"(١١٦).

وقال مرة: "لأن يبتلى المرء بما نهى الله خلا الشرك بالله خير له من يبتليه بالكلام"(١١٧).

وكذا قال الإمام أحمد (ت٢٤١هـ) مبينا فساد قلوب المتكلمين: "لا يفلح صاحب كلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل"(١١٨).

وقال أبو محمد البربهاري (ت٣٢٩هـ) مبينا خطر الكلام، وكونه سببا لكثير من الطوام التي وقى الله السلف منها، فقال: "اعلم أنه لم تكن زندقة، ولا كفر، ولا شكوك، ولا بدعة، ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين، إلا بسبب الكلام، وأهل الكلام والجدل والمراء والخصومة والعجب.

وكيف يجتري الرجل على المراء والخصومة والجدل، والله يقول : ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤] ؟ فعليك بالتسليم والرضا بالآثار والكف والسكوت"(١١٩).

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق من علماء القرن الرابع ـ لا تعرف سنة وفاته ـ: "أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل البدع والأهواء: أشعريا كان أو غيرأشعري، ولا تقبل لهم شهادة في الإسلام، ويهجرون ويؤدبون على بدعتهم"(١٢٠).

وحكى الإمام ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) الإجماع على بدعية أهل الكلام، وأن أئمتهم لا يعدون من زمرة العلماء الحقيقيين، وهم أهل الأثر من السلف: "أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار: أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم"(١٢١).

وقد وصف الغزالي (ت٥٠٥هـ) خطر الكلام على إفساد الدين وزلزلة العقيدة، وقد كان له تجربة طويلة مع الكلام، فقال: "ما يشوشه الكلام في الدين والجدل أكثر مما يمهده، وما يفسده أكثر مما يصلحه، وتقوية المعرفة بالكلام يضاهي ضرب الشجر بالمرقة من الحديد رجاء تقويتها، فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين، فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا يحركه شيء، وعقيدة المتكلم الحارس عقيدته بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الريح مرة هكذا ومرة هكذا"(١٢٢).

هذه جهود علماء السلف، وهذه تحذيراتهم من الكلام وأهله، ومن كل ما يكون سببا لإفساد الدين، وقد كان لهذه التحذيرات والجهود أثرها في حماية كبير جناب الأمة من

سلوك طريق المتكلمين الذي تعثر فيه كبارهم، فرجع جمع منهم إلى حظيرة السلف، نابذين خلفهم الكلام وأهله بعد إن اكتووا بناره التي كادت تحرقهم، ولهم في ذلك كلام كثير وعبارات مؤثرة موضعها المبحث القادم بمشيئة الله.

المبحث الخامس
تأثير الموقف السلفي على المتكلمين

لما كان مذهب السلف هو المذهب الحق الذي يخاطب العقل والفطرة، ويتفق مع نصوص الوحي، ومع قواعد اللغة التي أنزل بها القرآن، فلا غرابة أن نجد طائفة من علماء الكلام الكبار قد تخلوا عن مذهبهم وطريقتهم التي أورثتهم الشك والحيرة، والقلق والاضطراب إلى مذهب السلف لما تبين لهم الحق وكتبت لهم الهداية.

وسأعرض بإيجاز لأبرز الأعلام الذين عادوا إلى حظيرة السلف، قالين لمذاهبهم السابقة في تأويل الصفات، نادمين على ما فات من أعمارهم التي قضوها في دياجير الضلالة والبدعة.

والغاية من ذلك تقرير أن مذهب السلف هو المذهب الحق، الذي بهر أساطين المتكلمين حتى عادوا إليه مذعنين، وعنه منافحين، وله ناصرين، وتقرير أن من عرف مذهب السلف عن قناعة وعمل به فإنه لا يتركه أبدا، ولا ينتقل منه إلى غيره مهما جرى، بخلاف المذاهب الأخرى التي تورث القلق والحيرة والشك والاضطراب، فسرعان ما يتركها أصحابها إذا ما تبين لهم الحق وكانوا طلاب هدىً لا هوى.

فمن هؤلاء الأعلام البارزين: الجويني (ت٤٧٦هـ)، والباقلاني (ت٤٠٣هـ)، والغزالي (ت٥٠٥هـ)، والشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، والرازي (ت٦٠٦هـ).

قال الإمام الشوكاني (١٢٥٠هـ):" وهؤلاء الثلاثة، أعني: الجويني، والغزالي، والرازي، هم الذين وسعوا دائرة التأويل وطولوا ذيوله، وقد رجعوا آخرا إلى مذهب السلف كما عرف، فلله الحمد كما هو له أهل"[١٢٣].

وقال المعلمي (١٣٨٦هـ): "وقد أبلغ الله تبارك وتعالى في إقامة الحجة على اختلال النظر المتعمق في الإلهيات، بأن يسر لبعض أكابر النظار المشهورين بالاستقلال أن

يرجعوا قبيل موتهم إلى تمني الحال التي عليها عامة المسلمين، فمنهم الشيخ أبو الحسن الأشعري، وأبوا المعالي ابن الجويني الملقب إمام الحرمين، وتلميذه الغزالي، والفخر الرازي"(١٢٤).

ومما أثر عن الجويني (ت٤٧٦هـ) في التحذير من الكلام والرجوع عنه إلى ما كان عليه السلف ما حكاه الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ) عنه أنه قال: "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به ...وحكى لنا الإمام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه، قال: دخلنا علي الإمام أبي المعالي ابن الجويني نعوده في مرض موته، فأقعد، فقال لنا: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقاله قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح، وإني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور"(١٢٥).

وهو القائل:"لقد قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها، وعلومه الطاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام عنها، كل ذلك في طلب الحق وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن قد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق: "عليكم بدين العجائز"(١٢٦).

ومما أثر عن أبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، ما ذكره الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) لما تكلم عن كبار المتكلمين الذين رجعوا عن تأويل الصفات، بقوله:"أما كبيرهم الذي هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى أبي الحسن الأشعري، وهو القاضي محمد بن الطيب المعروف بأبي بكر الباقلاني، فإنه كان يؤمن بالصفات على مذهب السلف ويمنع تأويلها منعاً باتاً، ويقول فيها بمثل ما قدمنا عن الأشعري"(١٢٧).

ومما أثر عن الغزالي (ت٥٠٥هـ)، إنه: "رحمه الله، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ، فمات وصحيح الإمام البخاري على صدره"(١٢٨).

قال الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ): "كان في زمانه من أعظم القائلين بالتأويل ثم رجع عن ذلك، وبين أن الحق الذي لا شك فيه هو مذهب السلف"(١٢٩).

ومما أثر عن الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، قوله:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حـــائر على ذقن أو قارعاً ســـن نادم

ثم قال : عليكم بدين العجائز ؟ فإنه أسنى الجوائز(١٣٠)

ومما أثر عن الرازي (ت٦٠٦هـــ) في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات، قوله:

نهـــاية إقـــدام العقـــول عقـــال وغايـــة سعي العالمين ضـــــلال

وأرواحنا في وحشـــة من جسومنا وحاصـــل دنيـــانا أذىً ووبـــال

ولم نستفـــد من بحثنا طول عمرنـــا ســـوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

فكم قـــد رأينا من رجـــل ودولة فبادوا جميعـــاً مســـرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاهّا رجالٌ فزالـــوا والجبـــــال جبـــال

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن.

أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه: ٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]،وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾[طه: ١١٠]، ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"(١٣١).

هذه جملة من عبارات المتكلمين الذين أظهروا تأسفهم، وأعلنوا ندمهم وتوبتهم عن الكلام، وصرحوا برجوعهم إلى ما كان عليه سلف الأمة، ولسان أحدهم يقول:

ذهبت لداتي وانقضت أيامهم وغيرت بعدهم ولست بخالد

وهي عبارات تقرع القلب بصدقها؛ ولا أصدق من عبارات التوبة والندم والوصية عند الموت ومفارقة الدنيا؛ لأن تلك الساعة لا تزلف فيها، ولا مجاملة، ولا نفاق، وإن في كلام الأئمة الآنف ذكرهم لعظة وعبرة، قد ينتفع بها أقوام فيسعدوا، أو يعرضوا عنها فيشقوا.

وإن هذه المواقف تجعلني أقول بكل ثقة واطمئنان: إن من يعرف مذهب السلف ويقف على حقيقته فإنه لا يتخلى عنه ولو انفردت سالفته، بخلاف المذاهب الأخرى التي تورث الحيرة والقلق، فإن أصحابها سرعان ما يتركونها إذا ما تبين لهم الحق في غيرها .. والله الهادي إلى سواء السبيل.

الخاتمة
وفيها أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد انتهيت ــ بعون الله وتوفيقه ــ من إتمام هذا البحث وإكماله، وفي ختامه أُجمل أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

١- إن السلفية ليست مرحلة زمنية مضت وانتهت؛ ولكنها منهج فكري ثابت قائم على نصوص الكتاب، وصحيح السنة، وفقه السلف الصالح، المتفق مع العقل الصحيح، والفطرة السليمة، ولغة العرب الأصيلة.

٢- إن السلفية في الصفات تتوسط الفرق والطوائف المخالفة، ووسطيتها قائمة على الدليل والبرهان.

٣- إن السلفية بنت معتقدها في الصفات على أسس وقواعد ثابتة تشهد بصحة طريقتها، وسلامة منهجها، وأنها هي الحق والصواب المتفق مع الكتاب والسنة.

٤- إن الله قد سخر للسلفية في كل عصر ومصر رجالا يحملونها، ويناضلون عنها، ويبلغونها للناس أجمعين.

٥- إن السلفية قد أثرت على أعلام بارزين من رؤوس الكلام، فتركوا ما كانوا عليه من مخالفات لما استبان لهم الحق؛ ليلحقوا بركب السلف المهتدين.

توصيات الباحث: بما أن السلفية تمثل الإسلام الوسطي الصحيح بلا ريب، فإني أوصي بتكوين لجنة متخصصة ذات كوادر علمية عالية، للعناية بكتب العقيدة السلفية النقية، وفق منهجية معينة، وتكون مهمتها الرئيسة حصر مصنفات السلف ومؤلفاتهم

في باب الاعتقاد في القديم والحديث، ومن ثم التعريف بأصحابها وما تضمنته كتبهم من موضوعات وأفكار.

ومن ثم طباعتها - طباعة فاخرة -كمجموعة علمية متكاملة ورقياً، وإلكترونياً، مع تسهيل الوصول إليها عالمياً.

أقول هذا؛ لثلاثة أسباب:

الأول: جهل كثير من أبناء المسلمين بمصادر العقيدة السلفية النقية في الجملة.

والثاني: تعدد مصادر التلقي أمام الناشئة، واختلاط الصالح منها بالطالح، مع عجزنا عن الدفع التام للمصادر المنحرفة أو المضللة بالمنع أو الحجب وتكثيف الرقابة.

الثالث: المساهمة الفاعلة في نشر العقدية السلفية التي تمثل الإسلام الصحيح.

فإذا كنا نرغب في وجود جيل مسلم وسطي معتدل متماسك في زمن تنوع الأفكار ومزاحمتها لعقله وقلبه، فعلينا أن نبذل لهذا الجيل ما يكون سببا في تحصينه ووقايته من الشر الساكن والمتحرك، حتى لا تزل قدمه، ويشطح فكره، فيفارق الجماعة بما قد يتشربه من عقائد فاسدة، وأفكار ضالة.

والله أسأل،

أن يحفظ على المسلمين دينهم، وأن يبارك في رجالهم العاملين المخلصين، وعلمائهم الأبرار الطاهرين، كما أسأله تباركت أسماؤه أن يحفظ شباب الأمة وعمادها من الفتن، وأن يبصرهم بالدين الحق ويرزقهم العمل به؛ ليكتب لهم ولأمتهم الفوز والفلاح، والسعادة والنجاح.

والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وقدوتنا وقرة أعيننا

محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

[1] معجم مقاييس اللغة(٥/٤٤٨).

[2] لسان العرب(٢/٩٩).

[3] النهاية في غريب الحديث والأثر(٥/٨٩).

[4] الفروق اللغوية(ص٥٤٤).

[5] مجموع الفتاوي(١٦/٣٧٢).

[6] العلو للعلي الغفار(ص١٣)

[7] صفات الله الواردة في الكتاب والسنة(ص٢٢٣).

[8] أخرجه البخاري في كتاب التوحيد(٦٩٤٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين(٢/١٩٢٦).

[9] مجموع الفتاوى(٣٢/٤).

[10] الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي(ص١٤٨).

[11] لسان العرب(٩/١٥٨).

[12] المعجم الوسيط(١/٤٤٤).

[13] النهاية في غريب الحديث والأثر(٢/٣٨٩).

[14] أخرجه البخاري في كتاب الجمعة(٦برقم٢٦٥٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة(٧برقم٦٦٥٣)

[15] مجموع الفتاوى(٦/٣٥٥)

[16] انظر: التحف في مذهب السلف(ص٧) فما بعد، ولوامع الأنوار البهية(٢/٢٠)، وفضل علم السلف على علم الخلف(ص٦٠).

[17] انظر: تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة(ص٣٧٢).

[18] انظر: إلجام العوام عن علم الكلام(ص٥٣) .

[19] لوامع الأنوار(١/٢٠).

[20] انظر: (٢/٢٨٦).

[21] انظر: (١/١٦).

[22] انظر: (٢/٣٩٩).

[23] شرح العقيدة الطحاوية(٢/٧٨٦).

[24] مفتاح دار السعادة(٢/٢٤٢).

[25] انظر: الرد على الجهمية والزنادقة(ص١٠٤)، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع(ص٩٩) فما بعد، والملل والنحل(١/٨٦)، ومنهاج السنة(٢/٥٢٦).

(٢٦) انظر: الملل والنحل(١/١١٩)، ومجموع فتاوى ابن تيمية(٦/٥٢) فما بعد، ورسالة في الرد على الرافضة للمقدسي(ص١٦٦)، ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي(١/٤٨٧).

(٢٧) الملل والنحل(١/٤٢)، وانظر: البرهان في معرفة عقائد الأديان(ص٥٠)، وتبيين كذب المفتري(ص٢٥).

(٢٨) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد(ص١٤٨).

(٢٩) انظر: مقالات الإسلاميين(١/١٥٣)، ومنهاج السنة(٢/٥٠٢)، ودرء تعارض العقل والنقل(٤/١٤٥)، والفرق بين الفرق(ص٢٢٨).

(٣٠) منهاج السنة النبوية(٢/٢٤٣).

(٣١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح(١/٧٢).

(٣٢) مجموع فتاوى ابن تيمية(٥/١٩٦).

(٣٣) لوامع الأنوار(١/٩٤).

(٣٤) بدائع الفوائد(٢/١٨٠).

(٣٥) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد(١/٢٧٧)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل(٢/٣١).

(٣٦) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية(٧/١٤).

(٣٧) عقائد السلف(ص٣٧٤).

(٣٨) كتاب التوحيد(١/٥١).

(٣٩) التوحيد لابن مندة(٢/١٣٥).

(٤٠) فتح الباري(١١/٢٢٠).

(٤١) رسالة الإمام السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت(ص١٢١).

(٤٢) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة(٢/٣٨٣).

(٤٣) الحموية الكبرى(ص٢٦٥)، ومجموع الفتاوى(٥/٢٦).

(٤٤) مجموع الفتاوى(٦/٥١٥).

(٤٥) بدائع الفوائد(١/١٧٠).

(٤٦) التحفة المدنية(ص٢٥)، والدرر السنية في الكتب النجدية(٤/٥٥).

(٤٧) مجلة البحوث الإسلامية(١٠/ ٢٧٩)، ومجموع فتاوى ابن باز(٣/٦١).

(٤٨) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى(ص٢٨).

(٤٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (بتعليق الشيخ ابن باز والشيخ البراك)(١١/٢٢٣).

(٥٠) انظر بتصرف: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى(ص٢٨).

(٥١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(٧/٢٥٠).

(٥٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة(٣/١٠٣١).

(٥٣) مجموع الفتاوى(٦/٧١).

(٥٤) مدارج السالكين(١/١٢٥).

(٥٥) شرح العقيدة الطحاوية(ص١٢٤).

(٥٦) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى(ص١٨).

(٥٧) شرح العقيدة الطحاوية.

(٥٨) تعليقات على شرح لمعة الاعتقاد (موقع الشيخ على الشبكة).

(٥٩) فتاوى اللجنة الدائمة(٢/٣٥٠).

(٦٠) شرح السفارنية ضمن مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (موقع الشيخ).

(٦١) المرجع نفسه.

(٦٢) تقريب التدمرية للعثين(ص٤٧).

(٦٣) المرجع نفسه.

(٦٤) المرجع نفسه.

(٦٥) المرجع نفسه.

(٦٦) الفتاوى الكبرى(٦/٣٣٧).

(٦٧) مجموع الفتاوى(٦/٧١).

(٦٨) شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق الألباني(ص١٠٦).

(٦٩) تقريب التدمرية(ص٩٣).

(٧٠) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم(٢/٥١٩)، والترمذي في كتاب: الفتن(٤/٥١٦)، أورده الألباني في ظلال الجنة(١/٢٠٧) وصححه.

(٧١) أخرجه البخاري، في كتاب: الجمعة(٧/٥٢٥)

(٧٢) انظر بتصرف: القواعد المثلى(ص٢٠).

(٧٣) تفسير ابن كثير(٢/٥٦٨).

(٧٤) العلو للعلي الغفار(ص٢٥٣).

(٧٥) سنن البيهقي الكبرى(٣/٢).

(٧٦) التوحيد وإثبات صفات الرب(ص٣٠).

(٧٧) رسالته إلى أهل الثغر(ص٧٦).

(٧٨) فتح الباري(١٣/٤٠٧).

[79] الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة(٢/٢٧٣).

[80] الملل والنحل (١/٩١).

[81] لمعة الاعتقاد(ص٤)

[82] درء تعارض العقل والنقل(١/٢٧٩).

[83] العقيدة التدمرية(ص٣٩).

[84] مجموع الفتاوى(٦/٥١٨).

[85] بيان تلبيس الجهمية(٢/٢١٧)

[86] المرجع نفسه(٢/٢٧٣).

[87] العلو للعلي الغفار(ص١٠٤).

[88] تفسير ابن كثير(٢/٢٦٩).

[89] أقاويل الثقات(ص٨٥).

[90] لوامع الأنوار البهية(١/١٩٩).

[91] تنزيه الشريعة عن الألفاظ الشنيعة(ص٣٣).

[92] مجموع فتاوى ومقالات العلامة ابن عثيمين(٣/١٢٣).

[93] تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري (١/١٣٦).

[94]الروح(ص٣٧١).

[95] الجواب الصحيح(٣/٢٥٠).

[96] العقيدة الأصفهانية(ص٩٥).

[97] التبيان في أقسام القرآن(ص١٠٩).

[98] شرح العقيدة الطحاوية(ص٣٩٢).

[99] لوامع الأنوار(٢/٣٦).

[100] الدرر السنية في الكتب النجدية(٤/٣٧٨).

[101] شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري(ص٩٤).

[102] درء تعارض العقل والنقل(٤/ ١٤٥).

[103] تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك(١/٢١).

[104] لوامع الأنوار البهية(١/٢٥).

[105] أقاويل الثقات(ص٢٣٣).

[106] لوامع الأنوار البهية(١/٢٥).

[107] شرح الطحاوية للحميري (ت١٤٣٠هـ)(١/٦٠).

[108] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد(ص١٣٤).

[109] الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث(٦٩ فما بعد).

[110] المرجع نفسه.

[111] حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية(ص١٧).

[112] الإبانة عن أصول الديانة(ص٢٠).

[113] جامع بيان العلم وفضله(٢/١٩٦).

[114] شرح السنة(١/٢١٧).

[115] شرح الطحاوية(ص٧٢) .

[116] شرح السنة(١/٢١٧).

[117] المرجع نفسه.

[118] جامع بيان العلم وفضله(٢/١٩٤).

[119] شرح السنة للبربماري(ص٣٨).

[120] مجلة البحوث الإسلامية(١٩/٢٤٢).

[121] جامع بيان العلم وفضله(٢/١٩٤).

[122] الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار(١/١٣٣).

[123] إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول(١/٣٠٠).

[124] القائد إلى العقائد، وهوالقسم الرابع من التنكيل(ص٧٩).

[125] العلو للعلي الغفار(ص٢٥٨).

[126] سير أعلام النبلاء(١٨/٤٧٤).

[127] أضواء البيان(٧/٢٩١).

[128] شرح العقيدة الطحاوية(ص٢٠٨).

[129] أضواء البيان(٧/٢٩٥).

[130] نهاية الإقدام في علم الكلام(ص٣).

[131] شرح العقيدة الطحاوية(ص٢٠٨).

قائمة المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإبانة عن أصول الديانة: الأشعري، ط١(١٣٩٧هـ) دار الأنصار - القاهرة.

٣. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: ابن بطة، ط٢(١٤١٢هـ) دار الراية الرياض.

٤. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: ابن القيم، ط١(١٤٠٨هـ) مكتبة ابن تيمية - مصر.

٥. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: الشوكاني، تحقيق: البدري، ط١(١٤١٢هـ) دار الفكر - بيروت.

٦. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: صالح الفوزان، ط(١٤١١هـ) القاهرة.

٧. الأزمة العقدية بين الأشاعرة و أهل الحديث: خالد كبير، ط١(١٤٢٦هـ) دار الإمام مالك.

٨. الأسماء والصفات: البيهقي، ط:١، مكتبة السوادي - جدة.

٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، ط(١٤١٥هـ) دار الفكر - بيروت.

١٠. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات: مرعي بن يوسف المقدسي الكرمي، ط١(١٤٠٦هـ) مؤسسة الرسالة - بيروت.

١١. إلجام العوام عن علم الكلام: الغزالي، ط١(١٤٠٦هـ) دار الكتاب العربي - بيروت.

١٢. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: يحي بن أبي الخير، تحقيق : سعود الخلف، ط(١٩٩٩م) أضواء السلف - الرياض.

١٣. بدائع الفوائد: ابن القيم، ط:١(١٤١٦هـ) مكتبة الباز - مكة المكرمة.

١٤. البرهان في معرفة عقائد الأديان: السكسكي، ط١(١٤٠٨هـ) مكتبة المنار - الأردن.

١٥. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: ابن تيمية، ط/مؤسسة قرطبة.

١٦. التبيان في أقسام القرآن: ابن القيم، ط(١٩٨٢م) دار الكتب العلمية - بيروت.

١٧. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: ط٣(١٤٠٤هـ) دار الكتاب العربي - بيروت.

١٨. التحف في مذهب السلف: الشوكاني، ط/ مطبعة المدني.

١٩. تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك: إبراهيم الطرسوسي – مكتبة الاسكندرية.
٢٠. التحفة المدنية في العقيدة السلفية: حمد بن ناصر، تحقيق: عبد السلام برجس، ط١(١٩٩٢م) دار العاصمة – الرياض.
٢١. تقريب التدمرية: محمد بن صالح العثيمين، ط١(١٤١٩هـ) دار ابن الجوزي – الدمام.
٢٢. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: الملطي، ط/١٣٨٨هـ.
٢٣. تنزيه الشريعة عن الألفاظ الشنيعة: سليمان بن سحمان.
٢٤. تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة: التتائي، ط١(١٤٠٩هـ) .
٢٥. التوحيد: ابن مندة، ط٢(١٤١٤هـ) مكتبة الغرباء الأثرية.
٢٦. الجامع الصحيح: الإمام البخاري، ط٣_١٤٠٧هـ) دار ابن كثير – بيروت.
٢٧. جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر، تحقيق: زمرلي، ط١(١٤٢٤هـ) دار ابن حزم.
٢٨. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية، ط:١(١٤١٤هـ) دار العاصمة – الرياض.
٢٩. حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: ابن قاسم، ط١(١٤١٦هـ) دار القاسم – الرياض.
٣٠. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: الأصبهاني، تحقيق: المدخلي، ط(١٤١٩هـ) دار الراية – الرياض.
٣١. درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود - المملكة العربية السعودية.
٣٢. الدرر السنية في الكتب النجدية: دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٦(١٤١٧هـ).
٣٣. الرد على الجهمية والزنادقة: أحمد بن حنبل، ط/١٣٩٧هـ، دار اللواء – الرياض.
٣٤. رسالة الإمام السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت: تحقيق: محمد كريم، ط١(١٤٠٤هـ) دار الراية.
٣٥. الرسالة التدمرية: ابن تيمية.
٣٦. رسالة إلى أهل الثغر: الأشعري، ط١(١٩٨٨م) مكتبة العلوم والحكم – دمشق.
٣٧. رسالة في الرد على الرافضة: لأبي حامد المقدسي، ط:١(١٤٠٣هـ) الدار السلفية- الهند.
٣٨. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: الأزهري، ط:١(١٣٩٩هـ) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت.
٣٩. سنن البيهقي الكبرى: البيهقي، تحقيق: محمد عطا، ط(١٤١٤هـ) دار الباز – مكة.

٤٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: اللالكائي، ط(١٤٠٢هـ) دار طيبة – الرياض.
٤١. شرح السنة: البربهاري، تحقيق: محمد سعيد القحطاني، ط١(١٤٠٨هـ) دار ابن القيم – الدمام.
٤٢. شرح السنة: البغوي، ط١(١٤٠٣هـ) المكتب الإسلامي – بيروت.
٤٣. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: الألباني، ط٤(١٣٩١هـ) المكتب الإسلامي – بيروت.
٤٤. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز، ط/ مؤسسة الرسالة.
٤٥. صحيح مسلم: الإمام مسلم، ط/ دار الجيل – بيروت.
٤٦. صفات الله الواردة في الكتاب والسنة: علوي سقاف، ط:٢(١٤٢٢هـ) دار الهجرة.
٤٧. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ابن القيم، تحقيق: علي محمد، ط٣(١٤١٨هـ) دار العاصمة – الرياض.
٤٨. عقائد السلف: النشار والطالبي، منشأة المعارف بالأسكندرية – مصر.
٤٩. العقيدة الأصفهانية: ابن تيمية، تحقيق: إبراهيم، ط١(١٤١٥هـ) مكتبة الرشد – الرياض.
٥٠. العلو للعلي الغفار: الذهبي ، ط:٢(١٣٨٨هـ) دار الفكر.
٥١. الفتاوى الكبرى: ابن تيمية، تحقيق: محمد عطا، ط١(١٤٠٨هـ) دار الكتب العلمية.
٥٢. فتاوى اللجنة الدائمة: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: الدويش، ط٢(١٤١٤هـ) رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.
٥٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري (تعليق الشيخ ابن باز والشيخ البراك): عناية أبي قتيبة الفريابي، ط١(١٤٢٩هـ) دار طيبة.
٥٤. الفتوى الحموية الكبرى: ابن تيمية، ط٢(١٤٢٥هـ) دار الصميعي – الرياض.
٥٥. الفرق بين الفرق: البغدادي، ط/ دار المعرفة – بيروت.
٥٦. الفروق اللغوية: العسكري، ط: (١٤١٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
٥٧. فضل علم السلف على علم الخلف: ابن رجب، ط١(١٤٠٣هـ)، دار البشائر الإسلامية.
٥٨. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: محمد العثيمين، ط٣(١٤٢١هـ) الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
٥٩. لسان العرب: ابن منظور، ط/دار صادر – بيروت.
٦٠. لمعة الاعتقاد: ابن قدامة المقدسي، ط٢(١٤٢٠هـ) وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

٦١. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: السفاريني، ط٢(١٤٠٢هـ)، مؤسسة الخافقين – دمشق.

٦٢. مجلة البحوث الإسلامية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٦٣. مجموع فتاوى ابن تيمية: ط/١٤١٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية.

٦٤. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز: أشرف على جمعه وطبعه : محمد بن سعد الشويعر.

٦٥. مدارج السالكين: شمس الدين ابن القيم ، تحقيق محمد حامد فقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

٦٦. مذاهب الإسلاميين: عبد الرحمن بدوي، ط١(١٩٧٣م) دار العلم للملايين.

٦٧. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة: الأحمدي، ط١(١٤١٢هـ) دار طيبة – الرياض.

٦٨. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، ط/ دار الدعوة.

٦٩. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ط(١٣٩٩هـ) دار الفكر.

٧٠. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن القيم، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت.

٧١. مقالات الإسلاميين: الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين، ط(١٣٨٩هـ) مكتبة النهضة – مصر.

٧٢. منهاج السنة: ابن تيمية، طبعة جامعة الإمام.

٧٣. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ط/دار الفكر.

٧٤. والملل والنحل: الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد، ط(١٣٨٧هـ)، دار الاتحاد العربي – طبعة دار المعرفة.